قراءة في شرح ابن فُورَجَّة البَروجِرْدِيِّ الموسوم
(الفتح على أبي الفتح)

إعداد د. محمَّد زروق الحسن علي *

مستخلص

تناول هذا البحث بالدراسة والتحليل شرح ابن فُوْرَّجَة البَروجِرْدِيّ الموسوم بـ (الفتح على أبي الفتح) الذي تعقَّب به أبا الفتح ابن جنِّي في شرحه شعر المتنبي . اشتمل البحث على ثلاثة محاور قبلها مستخلص باللغتين العربية والإنجليزية وتوطئة ، وبعدها خاتمة وثَبْت بالمصادر والمراجع. ترجمتُ في التمهيد لابن فُوْرَّجَة ذاكراً منهجه في شرحه (الفتح على أبي الفتح) ، ثم أفردتُ المحور الأول لردود ابن فُوْرَّجَة واستدراكاته على أبي الفتح بن جنِّي ، وخصصتُ المحور الثاني لردود ابن فُوْرَّجَة واستدراكاته على القاضي الجرجانيِّ والصاحب بن عبَّاد. أما الثالث فكان لاستشهاد ابن فُوْرَّجَة بشعر أبي العلاء المعريِّ وإعجابه بآرائه.

وتكمن أهمية هذه القراءة في أنها تناولت شرحاً قيِّماً للغاية ، اعتمدتْ عليه فيما بعد جُلُّ شروح شعر المتنبي، وقد ازورَّت عنه أقلام الباحثين والدارسين من المحدثين حسب علمي.

* الأستاذ المشارك بكلية اللغة العربيَّة- رئيس قسم الدراسات الأدبيَّة والنقديَّة جامعة أم درمان الإسلاميَّة

Abstract

The research study and analysis (Sharrah Ibn Fawraja Albrwgrdy) titled : (Alfath Ala Abi Alfath), which tracked Abu Alfath Ibn Jinney where he interpreting Almutanbby's poets .

The Research consist of three (parts), Tow abstracts in Arabic and in English languages , introduction , conclusion and references and sources . I studded life of Ibn Fawraja , mentioned his method to interpreting (sharrah) (Alfath Ala Abi Alfath). First part about Ibn Fawraja and his comments on Abu Alfath Ibn Jinney , second part for Ibn Fawraja's defenses and comments on AlQadi (Judge) Al Jurjani and Alssahib Ibn Abbad, third part about Ibn Fawraja domination and evened by Almutanbbi's poet .

The importance of this reading depended on interpretation of Almutanbbi's poet, when modern researchers can't do this intellectual work .

توطئة

هذا البحث قراءة في شرح ابن فُوْرَّجَة البَروجِرْدِيِّ الموسوم (الفتح على أبي الفتح) وهو أحد شرحين تعقَّب بهما شرحي ابن جنِّي لشعر المتنبي (الفَسْر، والفتح الوهبيّ) والشرح الآخر هو (التجنِّي على ابن جنِّي) وقد سقط من يد الزمان، ولم يبق منه إلا أبيات مفردة عدتها ستة وتسعون بيتاً.

حوى شرح ابن فُوْرَّجَة (الفتح على أبي الفتح) ردوداً واستدراكات جمّة على ابن جنِّي والقاضي الجُرجانيِّ والصاحب بن عبَّاد واستشهادًا بأشعار أبي العلاء المعريِّ.

اشتمل البحث على مستخلص باللغتين العربية والإنجليزية وتوطئة وتمهيد وثلاثة محاور بعدها خاتمة وثَبْت بالمصادر والمراجع. تناولتُ في التمهيد ترجمة ابن فُوْرَّجَة ومنهجه في كتابه الفتح. أما المحور الأول فخصصتُه لردود ابن فُوْرَّجَة واستدراكاته على ابن جنِّي، وأفردتُ المحور الثاني لاستدراكاته على القاضي الجرجانيِّ والصاحب بن عبَّاد، والمحور الثالث لاستشهاد ابن فُوْرَّجَة بشعر أبي العلاء المعريّ وإعجابه بآرائه.

وترجع أهمية هذه القراءة في شرح ابن فُوْرَّجَة (الفتح على أبي الفتح) إلى أنه من الشروح التي اعتمد عليها شارحو شعر المتنبي إضافة إلى شرحي ابن جنِّي (الفَسْر والفتح الوهبيّ).

ولئن عُني الأقدمون بهذا الشرح مدارسةً وأخذاً، فإن المحدثين لم يُعنوا به حقَّ العناية فذكروه لِماماً وإجمالاً في ثنايا حديثهم عن المعركة النقدية حول شعر أبي الطيب المتنبي، عدا المحقِّق مُحسن غياض لمَّا انبرى لتحقيق هذا الشرح ونشره نشرة مُحقَّقة في مجلة المورد العراقية عام ١٩٧٣م.

ففي هذه القراءة سَبْرٌ لغَوْر موضوعات هذا الشرح القيِّم، وقد ازورَّت عنه أقلام الباحثين والدارسين من المحدثين، ولا نجد ذكراً لمؤلفه (ابن فُوْرَّجَة) إلا عند خاصة الخاصة، وهي القراءة الأولى لهذا الشرح حسب علمي.

تمهيد

ترجمة ابن فُوْرَّجَة البَروجِرْدِيِّ ومنهجه في كتابه الفتح:

أولاً: ترجمة ابن فُوْرَّجَة البَروجِرْديّ:

هو أبوعلي محمد بن حمد بن فُوْرَّجَة البَروجِرْديّ، كذلك أجمعت المصادر على اسمه ولقبه[1]، لم يخالفها غير الباخرزيّ في دُميته إذ عكس الاسم وجعله (حمد بن محمد)[2]، وأجمعت المصادر أيضاً على أنه وُلِدَ سنة ٣٣٠هـ في ذي الحِجَّة منها[3].

ولم تُخبرنا مصادر ترجمة ابن فُوْرَّجَة بشيء كثير عن سيرته وعمله، لكنها تذكر شعراً مفاده أنه سُجن، دون ذكر مكان السجن وزمانه. يقول ابن فُوْرَّجَة:

ماشَـانني حَبْـسي ومـا ضـرَّني ❖ مـا جَـرَّ مِـنْ حَـادِثِ اقْتَـاري

جَـرَّبني الـدَّهْرُ بأحْداثِـهِ ❖ تَجْرِبَـةَ اليَـاقُوتِ بالنَّـارِ

ومن الأحداث البارزة في حياة ابن فُوْرَّجَة تلمذته لأبي العلاء المعريِّ عند زيارته لبغداد[4]، وما تبع ذلك من إعجاب كُلٍّ من الرجلين بصاحبه، وهو إعجاب لا يكتمه ابن فُوْرَّجَة بأستاذه، يُظهره في متابعته لبعض آرائه واستشهاده ببعض أشعاره في شروحه لديوان المتنبي. ويُظهره المعريُّ بالإشادة بتلميذه ذلك النابه والتشوُّق له، بعد أن فارقه ورجع إلى مَعَرَّة النُّعمان. وذكروا أن ابن فُوْرَّجَة كتب للمعريّ قصيدة مطلعها:

آلا قامـــتْ تُجـــاذِبُنِي عِنـــانِي ❖ وتَـــسْأَلُنِي بعَرْصـــتِها مَقِـــيلا

فأجابه المعريُّ بقصيدة أولها :

كَفَـــى بـــشُحُوبِ أَوْجُهِنـــا دَلـــيلا ❖ علَـــى إِزْمَاعِنـــا عنْـــك الـــرَّحيلا

ومنها قوله

كَلِفْنَـــا بـــالعِرَاقِ ونَحْـــنُ شَـــرْخٌ ❖ فلـــم نَلْمَـــمْ بـــهِ إِلَّـــا كُهُـــولا

وشَـــارفْنَا فِـــراقُ أبـــي عَلـــيٍّ ❖ فكَـــانَ أَعَـــزَّ دَاهِيـــةٍ نُـــزولا

سَـــقَاه اللهُ أَبْلَـــجَ فارِســـيًّا ❖ أَبَـــتْ أَنْـــوَارُهُ إلاّ الأفـــولا

ولـــو لم أَلْـــقَ غَيْـــرَكَ فِي اغْتِرابِـــي ❖ لَكَـــانَ لقـــاؤكَ الحَـــظَّ الجمـــيلا[٥]

والأبيات آنفة الذكر تُظهر إعجاب أبي العلاء المعريّ بتلميذه ابن فُوَرَّجَة وعِظَم منزلته في نفسه، جاعلاً لقاء تلميذه (الحظ الجميلا).

أفادت بعض أخبار ابن فُوَرَّجَة أنه كان شديد الاحترام لعلمه لا يبتذله في ملازمة أبواب السلاطين ومدحهم وحضور مجالسهم، مُبْغِضاً الظلم والظالمين، نازعاً إلى العدل والإصلاح بكلّ جُرأة ، مِصداق ذلك أن ابن فُوَرَّجَة كان يعيش في ظل الدولة البُوبهيَّة ويصف أكبر ملوكها عَضُد الدولة البُويهيّ بالظلم، فيقول في ردٍّ له على ابن جنِّي وقد شرح بيتاً للمتنبي :"بل يجب أن يتقرَّب "أي المتنبي" إلى الله عز وجلَّ بتلك المفارقة والزُهْد في داره (أي عضد الدولة) إذ كان ملكاً ظالماً"[٦].

وربما كان لتلك التلمذة للمعريّ وهذه الآراء في الملوك الظالمين أثر فيما لقيه ابن فُوَرَّجَة من سجن أفقره وذهب بماله، وهو مع ذلك فخور به شديد المباهاة[٧].

كان ابن فُوْرَّجَة من أهل أصبهان المقيمين بالري، لم يقطع أحد ممن ذكره بسنة وفاته، قال السيوطي وياقوت إنه كان موجوداً سنة ٤٥٥هـ[٨]، وقال حاجّي خليفة إنه كان موجوداً سنة ٤٢٧هـ[٩]، وقد شكَّ المستشرق بلاشير فيما ذكر من وجوده حَيّاً سنة ٤٥٥هـ، دون أن يذكر مبرر هذا الشك، ودون دليل علمي يعتمد عليه[١٠].

ولعلَّ هذا التاريخ الأخير أقرب إلى الصواب من غيره، ولا سيما أن الباخرزيّ نقل بعض أشعار ابن فُوْرَّجَة وذكر أنه أنشدها الشيخ أبا عامر الجرجانيّ (بالري سنة أربعين وأربعمائة)[١١].

أما المكانة الأدبية لابن فُوْرَّجَة فقد ذكرها غير ناقد ومؤرخ مُقرِّظين شاعريته.

قال الباخرزيّ: "وهو في الصنعة من الفحول وشعره فَرْخ شعر الأعمى أعني شاعر مَعرَّة النُّعمان"[١٢]، وقال القُفطيُّ : "إمام في العربية، فاضل كبير القدر، حلو الشعر"[١٣]، ووصفه الثعالبيُّ بأنه كان (من المتقدمين بالفضل المبرزين في النظم والشعر)[١٤]، ثم ذكر أنه رأى جزءاً من شعره بخطه[١٥]. لكنَّ ذلك الجزء المخطوط من شعر ابن فُوْرَّجَة سقط من يد الزمان، ولم يصل إلينا وما بقي من مقطوعات قصار فيها شيء من الصنعة، والزخرفة اللفظية ، من ذلك قوله:

جَعَلْتُكَ منِّي يا سَكَني مَلاذا ❖ وجئتُكَ عائذًا إذْ لا مَعاذا

وهَبْكَ قَتَلْتَني فيُقالُ عَبْدٌ ❖ جَنَى المَوْلى عَلَيهِ فكانَ مَاذا[١٦]

وقوله:

أما تَرَوْنَ إلى الأَصْدَاغِ كَيْفَ جَرَى ❖ لها النَّسيمُ فوافتْ خَدُّه قدرا

كأنَّما مَدَّ زَنْجِيٌّ أَنَامِلَهُ ❖ يُريدُ قَبْضاً على جَمْرٍ فما قَدَرا[١٧]

لا ينفك ابن فُوَرَّجَة يأتي بالصنعة وزخرف الألفاظ قائلاً[١٨] :

أيُّها القاتلي بِعَيْنَيْهِ رِفْقاً ❖ إنَّما يَسْتَحِقُّ ذا مَنْ قَلاكا

أَكْثَرَ اللائمونَ فِيكَ عِتابي ❖ أنا واللائمونَ فيك فِداكا

وتبدو هذه الأشعار ذات مسحة حضرية وإن غلبت عليها الصنعة اللفظية.

ولعل أخباراً ومعلومات مهمة ضاعت من حياة ابن فُوَرَّجَة البَروجِرْدِيِّ فلم تذكرها مصادر ترجمته، على الرغم من تصدّيه لشرح شعر أبي الطيب المتنبي في كتابيه التجنِّي، والفتح، واستدراكاته الجمَّة على شيخ العربية أبي الفتح عثمان بن جنِّي في شرحيه لديوان المتنبي (الفَسْر، والفتح الوهبيّ).

ويقول مُحسن غيَّاض محقِّق كتاب الفتح على أبي الفتح: "ولعلَّ تعفُّف ابن فُوَرَّجَة عن الاتصال بالسلاطين وزهده في بلاطاتهم، وانصرافه - شأن النخبة الخيِّرة من العلماء- إلى تأليفه وتلاميذه، هو الذي أخمل ذكره وجعل الذين ترجموا له يختلفون حتى في اسمه وسنة وفاته، ولو كان ممن تزيَّنت بهم بلاطات الملوك، لاستفاضت أخباره وكثر عارفوه"[١٩].

ثانياً: منهج ابن فُوَرَّجَة في كتابه (الفتح) والقيمة العلمية للكتاب:

أشار ابن فُوَرَّجَة في مقدمة كتابه (الفتح على أبي الفتح) إلى أنه ألَّفه استجابة لرغبة شخص سأله أن يتتبع الأبيات الغامضة في شعر المتنبي ويشرح غريبها ويكشف غوامضها، ولكن لم يصرح باسم ذلك الشخص الذي طلب إليه تأليف الكتاب.

كانت مقدمة الكتاب دراسة نقدية ممتازة حاول ابن فُوْرَّجَة فيها أن يضع يده على مفاتيح الغموض والإبهام في بعض الشعر العربي، جعل ذلك أنواعاً ثلاثة وقسم الأول منها ثلاثة أقسام والثاني أربعة أقسام. أما النوع الثالث فلا أقسام له، وهي محاولة قيِّمة حصر فيها ابن فُوْرَّجَة مصادر الغموض والإبهام الذي يجده المرء في الشعر العربي، ومن المؤسف أن تسقط من المقدمة بضع ورقات سقط معها القسمان الثاني والثالث من النوع الأول كما سقط النوع الثاني وثلاثة من أقسامه، ولم يبق منه إلا القسم الرابع، وبقي أيضاً النوع الثالث الذي لا أقسام له، وقد مثَّل المؤلف لكل قسم ولكل نوع بأمثلة من الشعر العربي وبما يماثله من شعر أبي الطيب المتنبي[٢٠].

بدأ ابن فُوْرَّجَة كتابه (الفتح) مُرتِّباً الأبيات موضع الدراسة ترتيباً هجائيّاً، وإن كان لم يُشر إلى ذلك، فبدأ الكتاب بحرف الهمزة وختمه بحرف الياء وجاءت بقية الحروف بينهما، وهو لم يستوفِ كلَّ قوافي الديوان، وقد فعل ذلك قبله أبوالفتح ابن جنِّي في كتابه (الفتح الوهبيّ) ولمَّا كان هذا الكتاب ردّاً على كتاب (الفتح الوهبيّ) وتعقُّباً لابن جنِّي فيه فقد لزم ابن فوْرَّجَة منهجه وطريقة تبويبه.

والكتاب وإن كان في معظمه ردّاً على ابن جنِّي إلا أنه لا يخلو من بعض الردود على القاضي الجرجانيّ في وساطته، والصاحب بن عبّاد في كشفه عن مساوئ شعر المتنبي، وهو في ردوده تلك لا يخرج عن لين الجانب ودماثة الخُلُق وتجلّته للذين يردُّ عليهم وإكباره لهم، ولكنه إذا عرض للرد على الصاحب بن عبَّاد خرج عن طوره، فكان عنيفاً قاسياً غليظاً[٢١].

كان ابن فُوْرَّجَة ينظر إلى القصيدة وحدة متماسكة، ويربط في تفسير المعنى بين البيت وما بعده، وقد أتاح له هذا الكشف عن معانٍ لم يتوصل إليها ابن جنِّي . وهو قوي الحُجّة والعارضة مُتقن للجدل المنطقيّ، يأتي بالحُجَّة تلو الحُجّة والدليل تلو الدليل فضلاً عن أمانته العلمية حيث يذكر آراء خصومه وأقوالهم كاملة غير منقوصة قبل رده عليها مع الاجتهاد بالرأي[٢٢].

ولابن فُوْرَّجَة ملاحظات نقدية جيِّدة للغاية على شعر المتنبي عامة، وقد توصل إليها بطول صُحْبته لديون المتنبي وكثرة مدارسته وعنايته به[٢٣].

قيمة كتاب الفتح:

لم يسلِّم الناس لابن فُوْرَّجَة بصحة كلِّ ما ذهب إليه من ردود على أبي الفتح ولم يتفقوا على صواب كل ما قال وهو أمر طبعيّ. ذكر أبوالمرشد سليمان المعريّ في مختصره أن ردَّ ابن فُوْرَّجَة على ابن جنِّي لا يخلو (من ألفاظ غير مفيدة ومقاصد في الرد عليه ليس بالرشيدة)[٢٤]، وقال الواحديُّ في مقدمته لشرح الديوان ونقل صاحب كشف الظنون قوله هذا (أما ابن فُوْرَّجَة فإنه كسر مجلدتين لطيفتين على شرح معاني هذا الديوان سمَّى إحداهما (التجنِّي على ابن جنِّي) والأخرى (الفتح على أبي الفتح) أفاد بالكثير منها غائصاً على الدُّرر وفائزاً بالغُرر ثم لم يَخْلُ من ضعف البنية البشرية والسهو الذي قلَّما يخلو عنه أحد من البرية، ولقد تصفَّحتُ كتابيه وأعلمتُ على مواضع الزلل)[٢٥].

ومهما يكن من شيء، فإنَّ كتابي ابن فُوْرَّجَة، كانا ككتابي ابن جنِّي مصدرين أساسيين لكل الذين شرحوا شعر المتنبي بعدهما، وقد أكثر العكبريُّ والواحديُّ وسليمان المعريُّ من النقل عنه والاستشهاد بأقواله يشيرون إليه أحياناً ويغفلون ذكره أحياناً أخرى[٢٦]. وكلُّ ما سبق ذكره يُظهر مزية كتاب (الفتح على أبي الفتح) وقيمته وأهميته بين شروح ديوان المتنبي.

نهض بتحقيق كتاب (الفتح على أبي الفتح) المُحقِّق مُحسن غيَّاض ونشره نشرة محقَّقة في مجلة المورد العراقية المُحكَّمة عام ١٩٧٣م في عدد خاص بأبي الطيب المتنبي باذلاً فيه جُهْدًا مُضنياً تتبعاً للنصوص وتوثيقها، معتذراً عن أوجه القصور في هذا

التحقيق ،ولم أجد هذا التحقيق في كتاب مطبوع حسب علمي، مع ما لهذا الشرح من أهمية وقيمة علمية عالية.

المحور الأول: ردود ابن فُوَرَّجَة واستدراكاته على ابن جِنّي:

في شرح ابن فُوْرَّجَة الموسوم (الفتح على أبي الفتح) ردود واستدراكات جمَّة على أبي الفتح عثمان بن جنِّي، وهذه الردود والاستدراكات هي الركن المهم في هذا الشرح القيِّم النفيس، وقمين بالذكر أن معظم من شرحوا ديوان المتنبي اعتمدوا على شرحي ابن جنِّي (الفَسْر، والفتح الوهبيّ) وشرحي ابن فُوْرَّجَة (التجنِّي على ابن جنِّي، والفتح على أبي الفتح) ولعل أكثر شُرَّاح المتنبي عيال على ابن جنِّي وابن فُوْرَّجَة.

وفي هذا المحور أتناول معظم ردود ابن فُوْرَّجَة واستدراكاته على ابن جنِّي في كتابه (الفتح) من ذلك قول أبي الطيب المتنبي[٢٧]:

أنُـاسٌ إذا لاقَـوْا عِـدًى فكأنَّمـا ❖ سِـلاحُ الـذي لاقـوْا غُبَـارُ السَّلاهبِ

يُريد: فكأن سلاح أعدائهم غبار الخيل التي ركبوها الطوال، لقلة احتفالهم به، ولولا هذا التأويل لكان تخصيصه السلاهب نافراً مستهجناً، فقد علم أن الفارس إذا قال: الفرس سلهب فإنما يعني فرسه الذي هو راكبه[٢٨].

وردَّ ابن فُوْرَّجَة على ابن جنِّي قائلاً: "كيف يسبق إلى وهمك أنه يُريد سيف الدولة نفسه وساعده"[٢٩]. وقال ابن فُوْرَّجَة أيضاً :"وقد قال الشيح أبو الفتح: خَصَّ السلاهب، لأنها أسرع فغبارها أخف وألطف، وهذا التمحُّل لا خفاء به وباضطرابه"[٣٠].

ومن الردود أيضاً ما تعلَّق بقول المتنبي[٣١]:

قـالوا هَجَـرْتَ إليـهِ الغَيْـثَ قُلْـتُ لَهُـمْ ❖ إلى غُيُـــوثٍ يَدَيْـــهِ والـــشَّآبيبِ

يعني أن مصر لا تُمطر وإذا مطرت خرب كثير منها وأهلها يدعون الله ويسألونه كفَّ المطر، لأن أنفسهم متضايقة وبعضها فوق بعض، ولا مسيل لمياهها فهو يقول لامني الناس في هجري بلاد الغيث فقلت: تعوَّضتُ عنها بغيوث يديه وشآبيبهما.

قال الشيخ أبوالفتح يقول تركت القليل من يدي غيره إلى الكثير من نداه[٣٢].

ويرى ابن فُوْرَّجَة أنه ليس في قوله (هجرتُ الغيث) ما يدل على أنه هجر القليل من ندى الناس ، بل يدل على أنه هجر الكثير إلى الكثير[٣٣].

وما قاله الشيخ أبوالفتح بعيد من المحتمل الجيِّد إلا أنه لم يتثبَّت ولو فكَّر لما عزب عنه هذا القدر، ولو عددنا مثل هذا زلة كان كتابنا الموسوم (التجنِّي على ابن جنِّي)، مُفرطاً في الكبر[٣٤].

وكثيراً ما ذكر ابن فُوْرَّجَة كتابه (التجنِّي) وقد سقط من يد الزمان ولم يبق منه إلا ستة وتسعون بيتاً نشرها نشرة مُحققة المُحقِّق مُحسن غيَّاض في مجلة المورد العراقية.

ما انفك ابن فُوْرَّجَة يرد على ابن جنِّي مستدركاً عليه غير قليل من المعاني، وذلك في قول المتنبي[٣٥]:

وللهِ سَيْري ما أَقَلَّ تَئَيَّةً ❖ عَشِيَّةَ شَرْقيّ الحَدَالي وَغُرَّبُ

الحدالي: موضع بالشام، وغُرَّبُ: جبل، وشرقي مضاف إلى ياء النفس، يريد جعلتها شرقي وسرتُ أُريد مصر، والتئية التثبت، أي ما أقلَّ ما وقفتُ وتلومتُ حين سرتُ لهذا المكان أُريد مصر، ثم قال:

عَشِيَّةَ أَحْفَى النَّاسِ بي مَنْ جَفَوْتُه

يعني سيف الدولة، وأحفاهم أشدهم اهتماماً في البرِّ بي

وأَهْدَى الطَّرِيقَيْنِ الذي أَتَجنَّبُ[٣٦].

يريد الأولى بي أن أعود إلى سيف الدولة إلا أني هجرتُه ووردتُ مصر.

قال الشيخ أبوالفتح: قال (أهدى الطريقين الذي أتجنَّبُ) لأنه كان يترك القصد ويتعسَّف ليخفي أثره خوفاً على نفسه[٣٧]، وهذا جائز أن يكون عَني. إلا أنا لا نترك حُسنه وإحسانه لهذا التمحُّل وإنما يريد أني فارقت من كان بارّاً بي وتركت طريقاً كان أولى بي يتدرج بذلك إلى عتاب كافور وإظهار الندم على زيارته. وهذا مثل قوله في الأخرى:

رَحَلْتُ فَكَمْ بَاكٍ بأَجْفَانِ شَادِنٍ ❖ عَلَيَّ وكَمْ بَاكٍ بأَجْفَانِ ضَيْغَمِ

وما رَبَّةُ القُرْطِ المَليحِ مَكانُهُ ❖ بأَجْزَعْ مِنْ ربِّ الحُسَامِ المُصَمَّمِ

فلو أنَّ مَا بي مِنْ حَبيبٍ مُقَنَّعٍ ❖ عَذَرْتُ ولَكِن مِنْ حَبيبٍ مُعمَّمِ

يريد بهذا كله إظهار ندمه على مفارقة سيف الدولة والمعنى ظاهر والتكلُّف فيه مُحال[٣٨].

وكثيراً ما استشهد ابن فُوْرَّجَة بآيات القرآن الكريم والحديث النبويِّ الشريف وأشعار العرب في ردوده واستدراكاته على ابن جنِّي، من ذلك تعليقه على قول المتنبي:

هَنيئاً لَكَ العِيَدُ الذي أَنْتَ عِيدُهُ ❖ وعِيدٌ لَمَنْ سَمَّى وضَحَّى وعَيَّدا[٣٩]

يقول ابن فُوْرَّجَة "تكلَّم الشيخ أبو الفتح على العيد بكلام من باب التعريض وأعرض عن معنى البيت وقوله (أنت عيده) يريد تحلُّ له أنت محل العيد في القلوب إذ كان العيد مما يفرح الناس له فكذلك هذا العيد يفرح بوصوله إليك ... وقوله ذكر اسم الله على أُضحيته كقوله تعالى : ﴿ وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ﴾[٤٠]، وقوله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ﴾[٤١]، فذكر اسم الله عليها واجب على المسلمين فيريد أنت عيد لكل مسلم"[٤٢].

كان ابن فُوْرَّجَة عميقاً في تلك الردود والاستدراكات على ابن جنِّي مع اعترافه بأن ابن جنِّي إمام حُجَّة في اللغة لا يُدرك شأوه، يظهر ذلك جليّاً في تعليقه على قول المتنبي :

وشَامخٍ مِنَ الجِبَالِ أَقْوَدِ
زُرْنَاهُ للأَمرِ الذي لَمْ يَعْهَدِ
للصَّيْدِ والنُّزْهَةِ والتَّمرُّدِ [٤٣]

قال الشيخ أبوالفتح إنما قال: (لم يعهد) أي أن الأمير مشغول بالجد والتشمير عن اللهو واللعب[٤٤]، والتفسير على ما حكاه إن كانت الرواية (لم يُعهد) بضم الياء لا محيص عنه، والأجود عندي هو ما أرويه (لم يعهد) ويكون ضميره الشامخ من الجبال يعني أنه لم يعهد الصيد فيه لعلوه وارتفاعه، ولم يقدر على وحشه إلا هذا الأمير العظيم لِعظَم شأنه ألا تراه يقول:

فرد كيَافُوخِ البَعِيرِ الأَصْيَدِ ❖ يَسار مِنْ مَضِيقِهِ والجَلْمَدِ
في مِثْلِ مَتْنِ المَسدِّ المُعْقَدِ[٤٥]

فوصفه بالارتفاع والوعورة وضيق الطريق فهذا آراد بقوله (لم يعهد) آلا تراهم يمدحون بالصيد ومطاردة الوحش على أن عامة شعر امرئ القيس وكثير من الشعراء بعده افتخر بالطَّرَد، وقد مدح أبوالطيب كثيراً به ولم يستنكف أحد من الممدوحين منه[٤٦]، كقوله لعَضُد الدولة:

لَمْ يَبْقَ إلَّا طِرَادُ السّعالي ❖ في الظُلَمِ الغَائبةِ الهِلالِ

عَلى الإبِلِ الأَبَالِ[٤٧]

وحيناً يستدرك ابن فُوْرَّجَة على ابن جنِّي أنه ترك أبياتاً لم يُفسِّرها، فسَّرها ابن فُوْرَّجَة، ذاكراً وجوه المعاني من تلكم الأبيات قول المتنبي:

العَبْدُ لَيْسَ لحُرّ صَالح بأخ ❖ لو أنّه في ثِيابِ الحُرِّ مَوْلُودُ[٤٨]

يقول ابن فُوْرَّجَة: " لم يُفسِّر هذا البيت الشيخ أبو الفتح ولا بد له من تفسير، هذا تعريض بابن طغج. يقول: كان لا يجب أن يركن إليه ولا يتخذه أخاً وصاحباً لو أنه حرٌّ وُلِدَ في ثياب حُرّ، والهاء في قوله لو أنه عائدة إلى ولد ابن طغج، كأن يقول : لو أنه حُرٌّ لما اتخذ العبد أخاً ، يريد هو ولد زناء ، ولولا ذلك لما رضي بهذه الهضيمة يُغريه به ويذمه على تسليطه" [٤٩].

وقول المتنبي أيضاً :

إذا الحمَائلُ ما يَخِدْنَ بِنَفْنَفٍ ❖ إلَّا شَقَقْتُ عَلَيهِ ثَوْباً أَخْضَرَا[٥٠]

قال ابن فُوْرَّجَة : "لم يعرض أبو الفتح لتفسير هذا البيت ، وإنما ذكر الغريب وقوله (شققت عليه ثوباً أخضرا) وإنما يعني بالثوب الأخضر الكلأ والعشب وشقّها إياه رعيها له حتى يصير كالثوب المشقوق لمَّا رعى الوسط وترك الحافات ، وإن شئت كان شقهن إياه سيرهن فيه[٥١].

ومما أهمله ابن جنّي ولم يشرحه قول المتنبي :

وإطْـرَاقُ طَـرْفِ العَـيْنِ لَـيْسَ بنَـافِعٍ ❖ إذَا كَـانَ طَـرْفُ القَلْـبِ لَـيْسَ بمُطْـرِقِ[٥٢]

هذا البيت أهمله أبوالفتح فلم يتعرض لشرح معناه بل تكلم في غريب قوله (أطرق) وفيه كلام طويل ومعنى غلق وإنما المفهوم عكس هذا المعنى وهو أن تقول للبليد نظر طرف العين ليس بنافع إذا كان طرف القلب مطرقاً وهذا البيت يلي قوله:

ويَمْـتَحِنُ النَّـاسُ الأمـيرَ برأيـهِ ❖ ويُغْـضِي عَلَـى عِلْـمٍ بكُـلِّ مُمَخْـرَقِ[٥٣]

وغرضه أن الناس على طبقاتهم في العجز والقصور مفترون بإطراق طرف عين الأمير، وذلك غير نافع لهم إذ كان يعرف مقاديرهم بقلبه وذكائه فقوله (ليس بنافع) لهم لا للأمير فهذا شرح المعنى[٥٤].

وحيناً يُفسِّر ابن جنّي البيت من شعر المتنبي يراه ابن فُوْرَّجَة غيرَ مُسْتَقْصى، كقول المتنبي :

وقـد أرانـي الـشَّبابُ الـرُّوحَ في بَـدَني ❖ وقـد أَرانـي المَشيبُ الـرُّوحَ في بَـدَلي[٥٥]

قال الشيخ أبوالفتح : أي في غيري، يقول كأن نفسه فارقته في المشيب[٥٦]، هذا تفسير غير مستقصى ولا دال على مغزى، وما الفائدة في أن يرى أبوالطيب عند المشيب الروح في غيره، فقد كان يرى الروح في شبابه أيضاً في غيره، والبدل في هذا البيت أحسن ما يحمل عليه أن يعني به ولده، لأنه كان بدل الإنسان إذ كان يشب أوان شيخوخة الأب ثم يرثيه ويكون كأنه بدله في ماله وبدنه [٥٧] والروح يعني به روح نفسه لا الجنس كما قال:

أبـى القَلْـبُ إلَّـا أمَّ عَمْـرٍو وحُبَّهَـا ❖ عَجُـوزاً ومَـنْ يُحْبِـبْ عَجُـوزاً يُفَنَّـدِ[٥٨]

يريد قلب نفسه وهذا باب معروف كبير[٥٩].

كانت ردود ابن فُوْرَّجَة واستدراكاته على ابن جنِّي تُبنى على أبيات مفردة من شعر أبي الطيب المتنبي، وفي القليل كان يأتي ببيتين أو أكثر، كقول المتنبي:

فالعُرْبُ مِنْهُ مَعَ الكُدْرِيّ طائرةٌ ❖ والرُّوم طَائِرةٌ مِنْهُ مَعَ الحَجَلِ

وما الفِرَارُ إلى الأَجْبَالِ مِنْ أَسَدٍ ❖ تَمشي النَّعامُ بهِ في مَعْقِلٍ الوَعِلِ[٦٠]

فسَّره الشيخ أبوالفتح بكلام طويل ثم لم يأت بفائدة تخصيصه العرب بالقطا والروم بالحَجَل[٦١]، وهذا ما يسأل عنه وإنما قال ذلك لأن القطا تكون في بلاد العرب ولا قطا بالروم وكذلك الحجل يكثر في بلاد الروم ويقل في بلاد العرب فيقول: العرب والروم لا تقاوم سيف الدولة فالعرب هاربة منه مع القطا في البراري والقِفَار، والروم هاربة منه في الجبال مع الحَجَل، لأن بلادهم جبال، ولأجل ذلك قالت العرب في أسجاعها قالت الحَجَل للقطاة اقطى قطا بيضك ثنتان وبيضي مائتان، فقالت لها القطا احجلى ترين في الجبل من خشية الوجل[٦٢].

ما فتئ ابن فُوْرَّجَة يردُّ مستدركاً على ابن جنِّي في قول المتنبي:

نَحْنُ أَدْرى وقد سألنا بنَجْدٍ ❖ أَطَويلٌ طَرِيقُنا أَمْ يَطُولُ

وكَثِيرٌ مِنَ السُّؤالِ اشْتِياقٌ ❖ وكَثِيرٌ مِنْ رَدِّهِ تَعْلِيلُ[٦٣]

قال الشيخ أبوالفتح أي هو طويل في الحقيقة أو يُطوِّله الشوق إلى المقصود[٦٤] وهذا محال ظاهر لأن الشوق يُقصِّر طول الطريق ألا ترى إلى قول القائل:

أَرى الطَّريقَ قَريباً حِينَ أَسْلُكُهُ ❖ إلى الحَبيبِ بعيداً حِينَ أنْصَرِفُ[٦٥]

وقول الآخر: " مَنْ كَابَد الشَّوْقَ لَمْ يَسْتَبْعِدِ الدَّارا "[٦٦].

وإنما يريد أنه يعرض له ما يصده أو حالة تلفته وتعوقه من رغبة الملوك فيه وفي مدحه ومقامه عندهم، أو سوى ذلك من عِلّة أو مرض أو ما أشبه ذلك، يريد بذلك تشوُّقه إلى سرعة الوصول إليه وإشفاقه أن يطول طريقه عارض يصدُّه ، ثم أخبرك أنه إنما يسأل هذا السؤال لشدة الشوق وهو عالم بقدر طول الطريق وأمده ولا حاجة به إلى سؤال أحد[٦٧] فقال: وكثير من السؤال اشتياق أي سؤالي شبيه الشوق ثم قال وكثير من ردِّه تعليل أي ربما ردَّ في جواب السائل ما ليس بالجواب بعينه، وإنما هو تعليل وتطييب لنفس السائل[٦٨].

ويحسن بي أن أختم ردود ابن فُوَرَّجَة واستدراكاته على ابن جنِّي في قول المتنبي:

تَشْكُو رَوَادِفَكِ المَطِيَّةُ فَوْقَهَا ❖ شَكْوى التي وَجَدَتْ هَوَاكِ دَخِيلا

ويُغيرُني جَذْبُ الزِمامِ لِقَلْبِها ❖ فَمَهَا إليكِ كَطَالِبٍ تَقْبِيلا[٦٩]

لم يأتِ في تفسير هذين البيتين في كتاب الفَسْر إلا أن قال هذا نحو قوله أيضاً:

يَجْذبُها تَحْتَ خَصْرِها عَجُزٌ ❖ كأنَّه مِنْ فِرَاقِها وَجِلُ[٧٠]

وقال يسأل فيقال ما معنى قوله (شكوى التي) ومَنْ هي هذه الأُنثى، وهلَّا قال شكوى الذي فالجواب أن التي هي للمطية وغرضه سوق الكلام إلى ذكر غَيْرته من المطية فكأنه قال أنا أغار أيضاً من شكواها روادفك وثقلها، لأنها تشكو العاشقة لك كشكوى المضمرة وَجْداً بك، ولو قال الذي لما امتنع ولا تغيَّر من المعنى شيء لكنه أتبع التأنيث تأنيثاً وهذا كقولك ضربتُ زيداً ضَرْبَ المَغيظة وكلَّمتُه كلام

العاتبة، ولو قلت ضرب المغيظ وكلام العاتب لجاز فافهم، ومعنى البيت الثاني أنها إذا جذبت ناقتها بزمامها قلبت رأسها مع الزمام فكأنها تطلب منها تقبيلاً فتزيد غيرة أبي الطيب من شكواها تحقيقا وتؤكدها فضل تأكيد فمعنيا البيتين متداخلان فالطف في تأملهما يصحّ لك ما ذكرت[٧١].

ومما تقدم يظهر جليّاً أن ابن فُوْرَّجَة بنى شرحه (الفتح على أبي الفتح) على ردود واستدراكات جمَّة تعقَّب بها ابن جنِّي في شرحيه لديوان المتنبي (الفَسْر والفتح الوهبيّ) ، وعلى الرغم من كل ذلك لم يتطاول ابن فُوْرَّجَة على شيخ العربية ابن جنِّي ولم يغمطه حقَّه، فقد أشاد به غير مرة مُثمِّنًا مُقرِّظاً مكانته العالية بين أهل العربية، كقول ابن فُوْرَّجَة في إحدى شروحه" قد جوَّد أبو الفتح في هذا التفسير" [٧٢]. وقوله : " جوَّد أبو الفتح في هذا الشرح..." [٧٣]، وقوله : " قد فسَّر هذا البيت أبوالفتح فجوَّد ولم يبق ما يُزاد إليه" [٧٤]، وقوله :" معاذ الله أن نروم شأو الشيخ أبي الفتح في اللغة والإعراب ..." [٧٥]، وقوله : " وقد جوَّد الشيخ رحمه الله فيما أتى به ..."[٧٦]، وقوله :(والذي أتى به الشيخ أبو الفتح أجود وأولى ..." [٧٧].

المحور الثاني :استدراكات ابن فُوْرَّجَة على القاضي الجرجانيِّ والصاحب بن عبَّاد:

أ- استدراكاته على القاضي الجُرجانيِّ:

استدرك ابن فُوْرَّجَة على القاضي الجرجانيِّ استدراكات جمَّة من ذلك قول المتنبي:

ذَكَرْتُ بِهِ وَصْلاً كَأَنْ لَمْ أَفُزْ بِهِ ❖ وَعَيْشاً كَأَنِّي كُنْتُ أَقْطَعُهُ وَثْبَا[٧٨]

ذكر ابن فُوْرَّجَة أن هذا البيت سهو على القاضي أبي الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجانيّ فإنه ذكره في كتابه الموسوم الوساطة فادعى أنه أخذه من الهُذليّ حيث يقول:

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْني وبَيْنَها ❖ فلمَّا انْقَضى ما بَيْنَنا سَكَنَ الدَّهْرُ[٧٩]

قال أخذه منه فجعل أبوالطيب السعي وَثْباً وقد مَلَحَ في اللفظ[٨٠]، هذا قول القاضي.

يقول ابن فُوْرَّجَة استدراكاً على ما تقدم "إن الهذليَّ لم يرد بالسعي المشي الصريح فيجعله أبوالطيب وثباً وإنما أراد من قوله سعيت بفلان إلى الأمير سعياً ، وسعاية ولعمري إن السعاية أشهر في مصادر هذا الفعل إلا أن السعي الذي لا محيد عنه ويضطرنا إلى ذلك أن معنى البيت لا يتم وغرض قائله لا يحصل إلا بما ذكرناه يقول : لم يزل الدهر يسعى بي إليها ويسعى بالمكروه بيننا فلمَّا انقضى ما بيننا بالفراق سكن الدهر من تلك السعاية، ألا ترى أنه إن أراد السعي الذي هو المشي لم يكن له معنى وليكن ما ظنه القاضي أبوالحسن رحمه الله سائغاً ومشي الدهر بينهما من غير الفساد مُسلّماً وقوله على مضي الزمان على وصلهما فقط محمولاً فما يصنع بقوله (فلما انقضى ما بَيْنَنا سَكَنَ الدَّهْرُ). أترى الزمان لمَّا وقع الفراق سكن عن المضي وملّ الفلك من الدوران، والزمان إنما هو استمرار دورانه فلا مجاورة بين بيت الهذليّ وبيت أبي الطيِّب إذن في شيء مما ذكره"[٨١].

وهذا الاستدراك لم يمنع ابن فُوْرَّجَة من تقريظ القاضي الجرجانيّ وعلمه وبصره بالشعر ونقده حين قال:" هذا القاضي – رحمه الله - وهو عجب منه مع علمه بالشعر وغوصه إلى المعاني الدقيقة وكونه من النقد في الذروة العليا ... وإنما جناية

العجلة ... وحاشى لله أن أدعي الفضل على تلامذتهما (يعني ابن جنّي والقاضي الجرجانيّ) فكيف عليهما ... إلا أن الدلالة على السهو واجبة...)[٨٢].

وثمة استدراك على القاضي الجرجانيِّ في قول المتنبي:

وَغَرَّ الدُّمُسْتُقَ قَوْلُ العُدَا ❖ إنَّ عَلِيّاً ثَقِيلٌ وَصِبْ[٨٣]

يقول ابن فُوْرَّجَة "هذا البيت ظاهر المعنى واللفظ إلا أن القاضي أبا الحسن ذكر في كتاب الوساطة ما هو سهو عليه في هذا البيت فأحببتُ الإبانة عنه رواه (قول الوشاة) ثم قال قد عتب عليه هذا البيت وقالوا جعل الأمراء يوشي بهم وليس بسائغ أن يقال وشى فلان بالسلطان إلى بعض رعيته، ولو قيل ذلك في أميرين لكان قد قصر بالموشي به ثم قال: المحتج عن أبي الطيب أصل الوشاية استخراج الحديث بالمسألة كما يوشي الرجل جري فرسه بتحريكه وهمزه وقد يجوز أن تُحمل الكلمة على أصلها ويجعل هؤلاء وشاة لما أتوه بهذا الخبر، والكلام هو الأول عندي، والعذر ضعيف لعمري إن كل ما أورده بدءاً وعوداً ضعيف، وذلك أنه غلط في الرواية فأخذ في التمحُّل لغلطه وقد قرأتُ هذا الديوان تصحيحاً ورواية بالعراق على علماء عدة ورواة ذات كثرة فما وجدت أحداً يروي عنه هذه الرواية، وهذا ابن جنّي ما ضمَّن كتابه الفَسْر غير قول العداة . ولو أنا حرَّفنا الروايات عن وجوهها ثم أخذنا نتمحَّل للمحال تفسيراً لما قدرنا عليه، والزيادة في الكلام مما لا حاجة إليه ومعنى البيت : أنك تأخرتَ عن نُصرة أهل الثغور وكان الدُّمُسْتُق مقيماً بها يُحارب المسلمين ويغره أن الأعداء يرجفون بأنك ثقيل البدن عليل[٨٤].

ما انفك ابن فُوْرَّجَة يستدرك على القاضي الجرجانيّ كما في قول المتنبي:

جَلَلاً كما بي فَلْيَكُ التَّبْرِيحُ ❖ أَغِذَاءُ ذا الرَّشَأ الأَغَنِّ الشِّيحُ[٨٥]

قال ابن فُوْرَّجَة: "كثير من العلماء تكلموا في هذا البيت ووفوا حقه من قرائحهم ومضى أكثر الكلام في تجويز حذف النون من قوله (فليك) والذي يلقاها ساكن وتمحلوا له معاذير، وإنما أتيتُ به لنكتة عرضت في معناه، قال القاضي أبوالحسن: خالف بين معنيي المصراعين ومثل هذا كثير، فقد جاء عنهم ما ناقض المصراع الثاني به المصراع الأول مثل قول زهير:

قِفْ بالدِيارِ لم يَعْفُها القِدَمُ ❖ بلًى وغَيَّرَها الأَرْوَاحُ والدِّيَمُ[٨٦]

قال القاضي: وبين المصراعين اتصال لطيف وهو أنه أخبر عن عظيم تبريحه وشدة أسفه وبين الذي أورثه التبريح والأسف هو الرشأ الأغن الذي شككه عليه شبه الغزلان عليه في غذائه[٨٧]. قُلتُ ويحتمل معنى ألطف من هذا، وهو أنه يريد ما غذاء هذا الرشأ إلا القلوب وأبدان العشاق يُهزلها ويُمرضها[٨٨]، ويبرح بها كما صرح به في بيت آخر نحا به منحى غير الغزل وهو قوله:

وتَرْتَعُ دُونَ نَبْتِ الأَرْضِ فِينا ❖ فما فَارقْتُها إلَّا جَدِيبا[٨٩]

فكأنه يقول المتنبي ليكن عظيماً مثل ما حلَّ بي تبريح الهوى أتظنون غذاء من فعل بي هذا الفعل الشيح، والله ما غذاؤه إلا قلوب العُشَّاق فهذا مما ذكره القاضي أبوالحسن رحمه الله"[٩٠].

وحيناً كان القاضي الجرجانيُّ يُخطِّئ أبا الطيب المتنبي فينبري ابن فُوْرَّجَة مُخطِّئاً الجرجانيَّ مُصحِّحاً بما جاء به المتنبي، من ذلك قول المتنبي:

وَرَدْنا الرُّهَيْمَةَ في جَوْزِهِ ❖ وباقِيهِ أَكْثَرُ مِمَّا مَضَى[٩١]

فقال الجرجانيُّ: كيف تكون ناقته أكثر مما مضى وقد قال في جوزه والجوز الوسط ثم تمحَّل له عُذْراً من جنس ما قد مضى[٩٢]، آنفاً في شرح قوله وخرق مكان العيش وعندي أن المخطئ القاضي فإنه لم يفهم البيت فتجنَّى له ثم اعتذر بما قد وضعه عنه وقد تقدم هذا البيت قوله:

فيالك لَيْلاً عَلَى أَعْكَش ❖ أَحَمَّ البِلادِ خفي الصُّوى[٩٣]

ظن القاضي أبو الحسن أن جوزه إنهاء لليلك وأنه كقول عمر بن أبي ربيعة:

وَرَدْتُ وما أَدْري أَما بَعْدَ مَوْرِدي ❖ مِنَ اللَّيْلِ أَمْ ما قد مضى مِنْه أَكْثَرُ[٩٤]

ولعمري إنه لو كان كما ظن لكان كلامه محالاً حيث يقول وباقيه أكثر مما مضى وإنما الهاء في جوزه لأعكش فإن أعكش مكان واسع، والرُّهَيْمَة ماء مكانه وسط أعكش فهذا كلام صحيح، ثم قال : وباقيه أي باقي الليل، فقد بان أن المعنى لم يفهمه من رده والبيت صحيح السَّبْك[٩٥].

وتارة يُورد ابن فُوْرَّجَة رأي القاضي الجرجانيّ دون استدراك عليه كما في قول المتنبي:

أَمِطْ عَنْك تَشْبِيهي وكأنَّه ❖ فما أَحَدٌ فَوْقي ولا أَحَدٌ مِثْلي[٩٦]

فقد تكلم في هذا البيت القاضي أبوالحسن علي بن عبدالعزيز الجرجانيُّ فقال: هذا مما سُئل أبوالطيب عنه فذكر أن (ما) تأتي لتحقيق التشبيه يقول: عبدالله الأسد وما عبدالله إلا الأسد أو كأسد كما قال:

وما هِنْدُ إلَّا مُهْرَةٌ عَربيَّةٌ ❖ سَليلةُ أَفْرَاسٍ تجَلَّلها بَغْلُ[٩٧]

وقال لبيد:

وما المَرْءُ إلَّا كالشِّهابِ وضَوْئِهِ ❖ يَحُورُ رَمَاداً بَعْدَ إذْ هُوَ سَاطِعُ[٩٨]

وآخر المواضع في شرح ابن فُورَّجَة التي استدرك فيها على القاضي الجرجانيّ قول المتنبي :

مَنْ اقْتَضَى بسِوى الهِنْدِيِّ حَاجَتَهُ ❖ أجَابَ كُلَّ سُؤالٍ عَنْ هَلْ بِلَمِ[٩٩]

قال الشيخ أبوالفتح، إذا قيل له هل أدركت حاجتك قال لم أُدركها[١٠٠]، وهذا جيد تفسير لا مزيد عليه، إلا أن القاضي أبا الحسن علي بن عبدالعزيز- رحمه الله – فسَّره في كتاب الوساطة فأخطأ ثم عابه فقال كان الواجب أن يقول عن هل بلا ، لأنه يقول هل تتبرع لي بهذا المال فيقول لم لا فأقام لم مقام لا، لأنهما حرفان للنفي فأقام أحدهما مقام الآخر[١٠١]. وفي هذا من الظلم ما ترى ومن الخطأ ما تعلم، لأنه لو أراد ذلك لقال أجيب عن كل سؤال بلا، لأنه المعتفي فيجاب لا هو يجيب وإنما يعني كل من اقتضى حاجته بغير السيف ثم سأله الناس هل أدركت حاجتك هل بلغت مرادك هل ظفرت هل وصلت، فيقول في الجواب عن ذلك لم أبلغ لم أصل لم أدرك لم أظفر[١٠٢].

وثمة مواضع ذكرها ابن فُورَّجَة مستدركاً فيها على القاضي الجرجانيّ لكنها غير موجودة في كتاب الوساطة الذي بين أيدينا، وهذا يحتمل أحد أمرين، الأول ربما وَهِمَ ابن فُورَّجَة فيما قال، والثاني لعل كتاب الوساطة المطبوع لم يصل إلينا كاملاً.

ومهما يكن من شيء فإن الاستدراكات آنفة الذكر لا تعدو غير كونها اختلافاً في الآراء بين ناقدين كبيرين هما ابن فُورَّجَة البَروجِرْدِيِّ والقاضي الجرجانيّ، كانا مُحبين لأبي الطيب المتنبي.

ويُعدُّ كتاب الوساطة مكان هذه الاستداركات مثالاً فذًّا على نزاهة الحكم، وقد أصبح لاعتداله مصدراً جامعاً لعيوب المتنبي ومحاسنه[١٠٣]. فضلاً عن رحابة صدر مؤلفه وإنصافه في أحكامه مع الدُّرْبة والتؤدة.

ب- استدراكاته على الصَّاحب بن عبَّاد:

استدرك ابن فُوْرَّجَة على الصاحب بن عبَّاد استدراكات مبثوثة في صفحات شرحه (الفتح على أبي الفتح)، ومثلما كان الصاحب عنيفاً في نقده المتنبي وشعره في رسالته (الكشف عن مساوئ المتنبي) كان ابن فُوْرَّجَة كذلك حين تعقَّب الصاحب في آرائه من ذلك قول المتنبي:

لا يُحْـــزِنِ اللّهُ الأمـــيرَ فـــإِنَّني ❖ لآخِـــذٌ مِـــنْ حالاتـــهِ بنَـــصيبِ[١٠٤]

يقول ابن فُوْرَّجَة : "هذا البيت ظاهر اللفظ والمعنى وإنما حملني على إيراده أني قرأتُ أوراقاً سُمِّيت بمساوئ المتنبي أنشأها الصاحب كافي الكفاة قد ارتكب فيها شيئاً من المزح عجيباً ليس من طريق العلم ولا مما أفاد غير خيلاء الوزارة وبذخ الولاية، ولعَمْري لو لم يرو عنه هذا الكتاب لكان أجمل بمثله إذ كان لم يتعد فيه التهزؤ الفارغ والكلام اللغو حتى إنه ما يكاد ينتقص شيئاً من الأبيات التي نقمها على أبي الطيب بما يفيد معرفة مخطئاً فيه أو مصيباً إلا مواضع يسيره كأنها عثار منه بالجَدّ لا عمد فغلط فيها ودلَّ على أنه لم يفهم ما رده ولم يُحط علماً بما كرهه، وهذه الرسالة عملها في صباه والنزق حداه على إظهارها، وما أجدر مريد الخير له بكتمانها عليه. فمن الأبيات التي ردها هذا البيت يقول: ولا ندري لم يُحزن اللّهُ سيفَ الدولة إذا أخذ بنصيب من القلق أترى هذه التسلية أحسن عند أُمته[١٠٥]، أم قول أوس:

أَيَّتُهـــا الـــنَّفْسُ أَجْمِلِـــي جَزَعـــا ❖ إنَّ الـــذي تَحْـــذَرِينَ قَـــدْ وَقَعـــا[١٠٦]

فقد أخطأ في موضعين أحدهما أنه ظن أنه يقول: كلما حزن الأمير حزنت فقط فظن أن (يحزن) رُفع لأنه إخبار، ولولا ظنُّه ذلك لما استفهم فقال لم يُحزن الله سيف الدولة إذا أخذ أبوالطيب بنصيب من القلق، وهذا خطأ (ويُحزن) جُزم والنون مكسورة لالتقاء الساكنين وهو دعاء كما تقول لا يمت زيد ولا تشلل يدك فيقول: لا أصابك الله بحُزن فإني أحزن إذا حزنتَ كأنه يقول لا حزنني الله، وسائغ في الدعاء متعارف أن يقال لا حزنني الله ولا نالني بحُزن غير منكر ولا منعي عليه ولو كان كما ظنه لم يكن من كلام العقلاء أن يُقال: لا يحزن الله زيداً فإنني مشاركه، لأنه كونه مشاركاً لزيد لا يكون سبباً لأن يصرف الله الحزن عن زيد، لأنه كلام محال ولا ريب أن من يظن هذا بهذا البيت يقول ما قاله الصاحب لكن...[١٠٧]، بخلافه والغلط الثاني أنه قال أترى هذه التسلية أحسن أم قول أوس وإن هذا البيت ليس بتسلية وإنما هو دعاء للممدوح وليحسب أنه على ما ظنه قائل هذا القول فكيف يكون تسلية إخباره أن الله تعالى لا يُحزن سيف الدولة ،لأن المتنبي شريكه فهذا ظاهر وترك الدلالة على هذه الزلة غير سائغ[١٠٨]، مع ما قصدنا له من الدلالة على غامض أبيات هذا الفاضل والله المُعين"[١٠٩].

وتبدو استدراكات ابن فُوْرَّجَة على الصاحب مُطوَّلة لا تخلو من حِدّة الألفاظ والعبارات كتلك التي نهجها الصاحب في رسالته، يظهر ذلك من خلال قول المتنبي:

وللتَّرْكُ للإِحْسَانِ خَيْرٌ لِمُحْسِنٍ ❖ إذا جَعَلَ الإحسانَ غَيْرَ رَبِيبِ[١١٠]

وفي الأوراق المنسوبة إلى الصاحب تهزؤ بهذا البيت مستظرف قال ومن تعقيده الذي لا يُشقُّ غُباره ولا تُدرك آثاره قوله: وللترك للإحسان ... البيت، وما أشك أن هذا البيت أرفع عند أُمته[١١١]، من قول حبيب:

وقُلْــتُ للحَادِثَــاتِ اسْــتَبْطِنِي نَفَقــاً ❖ فَقَـدْ أَنَالَـكِ إحـسانُ ابـنِ حـسَّانِ[١١٢]

فما أدري أمن قوله: تعقيده الذي لا يُشقُّ غباره أتعجب أم من تشبيهه هذا البيت ببيت أبي تمام، وكلا الأمرين عجيب . أما زعمه أنه قد عقَّد فوجه التعقيد ما لا نعلمه فإنه لم يُقدِّم لفظة ولا أخَّر أخرى عن موضعها ولاغَرَّب في المعنى ولا في اللفظ وإنما قال ترك الإحسان خير لمحسن إذا لم يرب إحسانه ألا ترانا حين فككنا النظم وجعلناه نثراً أتينا بمثل لفظه سواء من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم ولا تأخير فليت شعري أين التعقيد ، وأما قوله ما أشك أن هذا البيت أوقع عند حملة عرشه من بيت حبيب، فلا أعلم ما التجاور بينهما والتشارك ولعله رأى اشتراكهما في لفظة الإحسان تشابهاً وحبيب يقول: قل الحادثات جِدِّي في الهرب واتخذ نَفَقاً في الأرض فقد أظلك إحسان هذا الممدوح ، وهو يُعفِّي على آثارك فليت شعري ما هذا المعنى من المعنى الأول والسلامة من هذا القول أسلم لكل لبيب[١١٣].

ما انفك ابن فُوْرَّجَة يردُّ على الصاحب بن عبَّاد أوجه الخطأ في نقده قول المتنبي:

وأَنْتَ أُبوالهَيْجا ابنُ حَمْدانَ يا ابْنَهُ ❖ تَــشَابَه مَوْلُــودٌ كَــريمٌ ووالِــدُ

وحمــدانُ حَمْــدُون وحَمــدون حَــارِثٌ ❖ وحَــارِثُ لُقْمَــانُ ولُقْمَــانُ رَاشِــدُ[١١٤]

هذا المعنى من أحسن معاني هذه القصيدة والبيتان من خيار أبياتها وما لأحد من الشعراء قصيدة على هذا الوزن إلا وهذه أحسن منها ، وأجود فليعلم ذلك، وقد تهزأ منه الصاحب أبوالقاسم فقال ولم ننفك مستحسنين لجمع الأسامي في الشعر كقول الشاعر:

إنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَلْتَ عُرُوشَهُم ❖ بِعُتَيْبَةَ بنِ الحَارثِ بنِ شِهَابِ[١١٥]

وقول الآخر (عياذ بن أسماء بن زيد بن قارب) واحتذى هذا الفاضل على طرقهم فقال: وأنت أبوالهيجا ابن حمدان ... البيتين. وهذه من الحكمة التي ذكرها أرسطو طاليس وأفلاطون لهذا الخلف الصالح وليس على حسن الاستنباط قياس[١١٦]، هذا كلامه فليت شعري مما أتعجب من استقباحه ما هو أحسن شعره أم تهزؤه الذي لا يليق بما نحن بصدده، أم من ظنه أنه إذا تهزأ توهم الناس فيه أنه يعلم ما لا يعلمون، ولقد جوَّد أبوالطيب حيث يقول:

وكَمْ مِنْ عائبٍ قَوْلاً صَحيحاً ❖ وآفتُهُ مِنَ الفَهْمِ السَّقيمِ[١١٧]

ويقول أيضاً:

ومَنْ يَكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مَريضٍ ❖ يَجِدْ مُرّاً بِهِ المَاءَ الزُّلالا[١١٨]

أما سَبْك البيت فأحسن سَبْك يريد أنك تُشبه أباك وأبوك يُشبه أباه ، أبوه أباه فأنت أبوك إذا كان فيك أخلاقه وأبوك أبوه إلى آخر الآباء فليت شعري ما الذي استقبحه وقد جاراني بعض أهل العلم فقال استقبح قوله(حمدان حمدون وحمدون حارث)، وليس في حمدان ما يُستقبح من حيث اللفظ ولا المعنى ولنسلم له أن حمدان وحمدون لفظتان مستهجنتان فكيف نصنع والرجل اسمه هذا فهل يستعير له أباً غير أبيه أم يُسمِّيه بلفظة حسنة يخترعها، ولقد كان الذنب في ذلك للآباء لا للمتنبي[١١٩].

ثم ذكر ابن فُوْرَّجَة في مِعْرَاض رده على الصاحب عدداً من الأبيات ذكر شعراؤها المدح بالنَّسب . وكل ذلك من تشابه مولود كريم ووالد، فكأنه علم الشعراء أن شبه الابن بالأب مما يُمدح ويُراد به صحة النسب وطيب المولد[١٢٠]. أما قوله (أي

الصاحب) هذه من الحكمة التي ذكرها أرسطو طاليس وأفلاطون فلا يُقاس به كلام ولاَ فَهِمَه فَهْمٌ، أترى من باب الفلسفة أن يُقال فلان مثل أبيه في الشبه أم هو من المعاني الغامضة التي لا يفهمها إلا الفلاسفة فسبحان من سخر له هذا الكلام وما كنا له مُقرنين[١٢١].

واستدراكات ابن فُوْرَّجَة وردوده على الصاحب تترى حاملة غير قليل من عنيف الألفاظ والعبارات ذاكراً أن الصاحب يفضح نفسه بنفسه كما في قول المتنبي:

كأنّكَ ناظرٌ في كُلِّ قَلْبٍ ❖ فما يَخْفَى عَلَيْكَ مَحَلُّ غَاشِ[١٢٢]

يقول ابن فُوْرَّجَة : "هذا البيت فضح الصاحب أبوالقاسم به نفسه في رسالته التي ذمَّ فيها أبا الطيب يقول فيها: ومن مجازاته التي خلقها خلقاً متفاوتاً تحقيقه الغاش، وهذا مما لا أعلم سامعاً باسم الأدب يُسوِّغه أو يُفسح فيه ويُجوِّزه وذلك قوله (كأنك ناظر البيت) فإن جاز هذا جاز أن يقال عباس بن عبدالمطلب وشماخ بن ضرار فلا يُشدِّد الميم ولا الباء[١٢٣]، على أن ما أورده أشنع من هذا الذي مثَّلنا به إذ كان لفظ فاعل بُني على لفظ فعَّل مشدَّد هذا كلامه. فإذا لم يفهم الكلام اعترض عليه بما يفصح وكأنه قد تصور أنه يريد غاشّاً من الغش ولم يُرد أبوالطيب شيئاً من ذلك، وإنما أراد محل من يغشاك من صنوف الناس، يُقال غشيته أغشاه ، إذا قصدته من قوله (غشيتُ ديارَ الحيِّ بالبكراتِ)[١٢٤]، قال تعالى: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾[١٢٥]، وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾[١٢٦]، ولو أراد الغش لما أتى بالمحل، لأن ذا الغش يعرف غشه فقط ولا حاجة منه بمعرفة منزلته ومحلته..." [١٢٧].

ومما عابه الصاحب على المتنبي قوله:

رِاوق العِـــزّ فَوْقَـــكِ مُـــسْبَطِرٌ ❖ ومُلْـكُ عَلـــيٍّ ابْنِـكِ فِي كَمَـــالِ[١٢٨]

عابه الصاحب أبوالقاسم – رحمه الله – بهذا البيت وقال لعل لفظة (الاسبطرار) في مرثية النساء من الخِذْلان المُبين وليت شعري أيُّ خِذْلان في أن يكون رِوَاق العزّ فوقها مُسبطراً، وما ضرَّ عمر بن أبي ربيعة حين يقول:

(أمسى بأسماء هذا القلبُ مَعْمُودا) حتى يقول:

ومُـشْرِقاً لَّـشُعَاعِ الـشَّمْسِ بَهْجتُـهُ ❖ ومُـسْبَطِراً عَلـى لَبَّاتِهـا سُـودا[١٢٩]

هذا من أحسن الغزل ... وإنما اسبطر كلمة منحوتة من أصلين على رأي بعض أهل اللغة من السبط والطر وإن منع من ذلك المحققون منهم، وإذا جاز لامرئ القيس أن يقول في صفة امرأة (إذا ما اسبكرَّتْ بين دِرْعٍ ومِجْوَلِ)[١٣٠] فلِمَ لا يجوز لأبي الطيب أن يقول (رواق العز فوقك)[١٣١].

ولعل أكثر ردود ابن فُوْرَّجَة واستدراكاته على الصاحب بن عبَّاد قائمة على مبدأ المقايسة، بأن يقيس ما جاء به أبوالطيب المتنبي بالقدماء، وهذا المبدأ بنى عليه القاضي الجرجانيُّ كتابه (الوساطة).

وآخر مواضع تلكم الاستدراكات قول المتنبي :

في الخَـدِّ أَنْ عَـزَمَ الخَلِـيطُ رَحِـيلا ❖ مَطَـرٌ يَزِيـدُ بـهِ الخُـدودُ مُحـولا[١٣٢]

يقول ابن فُوْرَّجَة:" فأيُّ معنى أحسن من هذا وأيُّ لفظ آنق وأيُّ صنعة أكمل وقد قال الصاحب أبوالقاسم – غفر الله له – في رسالته المعروفة ومن استرساله إلى الاستعارة التي لا يرضاها عاقل ولا يلتفت إليها فاضل: في الخدّ أن عزم الخليط...

البيت، ثم قال فالمُحول في الخدود من البديع المردود، ثم هذا الابتداء في القصيدة من النفور بحيث يضيق الصدور فأيُّ علم أفادنا بما قال غير هذا الكلام المسجوع الذي ما له مرجوع، بل ليت شعري أيُّ شيء أنكر وما الذي نقم والمُحول للخدود مستعار كما أن المطر للدمع مستعار وأيُّ نفور في هذا الابتداء الذي لم يُخله من لفظ رائع ومعنى مبتدع وصنعة مُحكمة، وبعد فقد ارتضى كلُّ ذي عقل وفضل رأيته وسمعت به هذا الابتداء أو استحسنه وما شهدتُ أحداً من الفضلاء وذوي العقول يَذمُّه غير هذا الظالم، فإن كان لا يرتضيه هو من بينهم وحده وليس بأفضلهم ولا أعقلهم فلعلة ما ذاك. وقد قال بعض المُحدثين:

مَطَـرٌ مِـنَ العَبَـراتِ خَـدِّي أَرْضُـهُ ❖ حتَّـى الـصَّباحِ ومُقْلـتي سَـمَاؤه[١٣٣]

فهل تَرى بهذا عِيبَ، وهل يؤتى من جودة صنعة وحسن بنية فكيف تراه جعل العبرات مطراً والخدَّ أرضاً والمُقلة سماءً، وإذا جاز لهذا أن يجعل الخدَّ أرضاً فلِمَ لا يجعل أبوالطيب لتلك الأرض مُحولاً وخِصْباً "[١٣٤].

ومما عِيبَ على الصاحب في رسالته أنه ذهب في التهكم كل مذهب، واستعمل السِّباب الجارح، وكدَّ قريحته ليتفنن في التعليق الساخر[١٣٥]، والرسالة نفسها مَعيبة للاضطراب القائم بين طبيعة مقدمتها ومَتْنها، ثم لعدم بنائها على أصول واضحة، فهي بالخواطر المُرْسَلة أشبه[١٣٦].

وكل ذلك جعل ابن فُوْرَّجَة يقابل هُزء الصاحب وتهكمه لَمَّا عرض لمساوئ شعر المتنبي بهُزء وتهكم أَمَرّ.

المحور الثالث: استشهاد ابن فُوَرَّجَة بشعر أبي العلاء المعريِّ وإعجابه بآرائه:

ذكرتُ آنفاً صلة ابن فُوْرَّجَة بأبي العلاء المعريِّ إبان زيارة الأخير لبغداد، وقد أُعجب كلا الرجلين بالآخر، وهو إعجاب عبَّر عنه ابن فُوْرَّجَة غير مرة في صفحات شرحه (الفتح على أبي الفتح) ولذا فقَمين بي أن أُفرد حيزاً من هذه القراءة لأشعار أبي العلاء التي أوردها ابن فُوْرَّجَة في شرحه.

استشهد ابن فُوْرَّجَة بشعر المعريِّ في مِعْرَاض حديثه عن قول المتنبي (سرب محاسنه ... البيت) قائلاً وقد ألم بهذا المعنى إلا أنه غيَّره إلى باب آخر الشيخ أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان المعريُّ أنشدينه لنفسه:

قد يَبْعُدُ الشيءُ مِنْ شيءٍ يُشابهُه ❖ إنَّ السَّماءَ نَظِيرُ المَاءِ في الزُّرْقِ[١٣٧]

ويستشهد بشعر المعريِّ في ثنايا حديثه عن معنى من المعاني، وأنشدني الشيخ أبوالعلاء لنفسه في هذا المعنى:

بَنَاتُ الخَيْلِ تَعْرِفُها دَلُوكُ ❖ وصَارِخةٌ وآلِسُ واللِّقَانُ[١٣٨]

هذه كلها من بلاد الروم يقول: كان أبوك يُغير بأُمّاتها في هذه الديار فهي تعرفها[١٣٩]. ولمَّا كان الحديث عن الخيل والفروسية متصلاً عند ابن فُوْرَّجَة من خلال قول المتنبي (الخيل والليل ... البيت) نجده يذكر شعر المعريِّ ويوضح معنى ذلك ما أنشدنيه الشيخ أبوالعلاء أيضاً لنفسه:

يابنَ الأولىَ غَيْرَ زَجْرِ الخَيْلِ ما عَرَفُوا ❖ إذْ تَعرِفُ العَرَبُ زَجْرَ الشَّاءِ والعَكَرِ(١٤٠)

كان ابن فُوْرَّجَة يستجيد شعر المعريِّ ذاكراً أن الجيِّد في تشبيه تعطُّف الرماح ما قاله الشيخ أبوالعلاء المعريُّ حيث يقول:

وتَعطَّفتْ لُعَبُ الصِّلالِ مِنَ الأَسى ❖ فالزَّجُ عِنْدَ اللُّهْذمِ الرَّعَّافِ[١٤١]

فلعب الحيَّات وتعطُّفها حسن في تشبيه استدارة الرمح إذا التوى وتعطَّف.

وتارة لا يقف ابن فُوْرَّجَة عند استجادته شعر المعريّ، بل ينفذ إلى آرائه في شرح شعر المتنبي، مثال ذلك حديثه عن قول المتنبي (هذي برزت لنا ... البيت) وسمعتُ الشيخ أبا العلاء المعريّ يقول : هذي موضوعة موضع المصدر، وإشارة إلى البرزة الواحدة كأنه يقول هذه البرزة برزت فهجت رسيساً[١٤٢]، وهذا تأويل حسن لا حاجة معه إلى اعتذار[١٤٣].

وينقل ابن فُوْرَّجَة في معرض حديثه عن قول المتنبي :

تُزيلُ مخَافَةَ المَصْبورِ عَنْهُ ❖ وتُلْهي ذا الفِيَاشِ عَنِ الفِياشِ[١٤٤]

وحكى الشيخ أبوالعلاء أنه كان قد قال (ويلهي الحسن في خُلُق الأباش) فغيَّره إلى هذا والأباش المرأة السيئة الخُلُق[١٤٥].

وحيناً ينقل ابن فُوْرَّجَة رأياً لأبي العلاء المعريِّ وينصُّ على أنه فائدته من الشيخ أبي العلاء ، جاء ذلك تعليقاً وشرحاً لقول المتنبي:

أمِطْ عَنْكَ تَشْبيهي بما وكأنَّه ❖ فما أَحَدٌ فَوْقي ولا أَحَدٌ مِثْلي[١٤٦]

يقول ابن فُوْرَّجَة : " والذي عندي ما أقوله وهي فائدتي من الشيخ أبي العلاء المعريِّ وليس مما استنبطه وهو أن تكون (ما) التي تصحب (كأنَّ) إذا قلت كأنما زيد الأسد، ألا ترى أنها كبرت حتى تكلَّم النحويون فيها إذا حالت بينها وبين الاسم وقصروا عليها فصولاً كثيرة من كتب النحو وقد صارت في لغة قوم لازمة لكأن حتى ما تفارقها[١٤٧]، وما عندي أن أبا الطيب أراد غيرها والله تعالى أعلم بالمغيب[١٤٨].

وآخر المواضع التي ذكرها ابن فُوْرَّجَة مُثمِّناً فيها آراء أستاذه أبي العلاء، قول المتنبي:

دِيَـــارُ الَّلـــواتي دَارُهُـــنَّ عِزِيَـــزةٌ ❖ بطُـولِ القَنَـا يُحْفَظْـنَ لا بالتَّمـائمِ[١٤٩]

حيث قال ابن فُوْرَّجَة : " هذا البيت ظاهر المعنى واللفظ وإنما أتيتُ به لنُكته قرأتُه على الشيخ أبي العلاء فقلتُ له: أنشد بطول القنا أم بطولاها، أعني هل هو فعل مصدر طال يطول طولاً أم فُعْلاها، كما تقول كُبْراها وصُغْراها، فقال: ما رويت إلا بكسر اللام، فقلت التمائم في آخر البيت جمع وطول واحد فألّا أنُشد بطولى يراد به طول القنا ليكون جميعاً مع جمع هذا في صنعه الشعر، فقال ما اخترتُ إلا مختاراً غير أن الرواية ما ذكرت" [١٥٠].

الخاتمة

نتائج البحث:

١) أبرز مراحل حياة ابن فُوْرَّجَة البَروجِرْدِيِّ سجنه وتلمذته لأبي العلاء المعريِّ عند زيارته لبغداد.

٢) أغفلت مصادر الأدب جوانب كثيرة من حياة ابن فُوْرَّجَة خلا ذكرها أنه عاش في عهد البُويهيين، وبُعْده عن السلطان ، مُقرِّظاً بعضها عِلْمه وشاعريته.

٣) ألَّف ابن فُوْرَّجَة كتابه (الفتح على أبي الفتح)، استجابة لرغبة شخص سأله أن يتتبع الأبيات الغامضة في شعر المتنبي ويشرح غريبها ويكشف غوامضها، وقد أشار بذلك في مقدمة كتابه دون ذكر اسم ذلك الشخص.

٤) حاول ابن فُوْرَّجَة في مقدمة كتابه أن يضع يده على مفاتيح الغموض والإبهام في بعض الشعر العربي ممثلاً لها بأمثلة وبما يماثلها من شعر أبي الطيب المتنبي وقد ضاع من تلكم المقدمة بضع ورقات.

٥) بدأ ابن فُوْرَّجَة كتابه (الفتح) مُرتِّباً الأبيات موضع الدراسة ترتيباً هجائيّاً، ولكنه لم يستوفِ كلَّ قوافي الديوان، وكذلك فعل ابن جنِّي.

٦) لزم ابن فُوْرَّجَة منهج ابن جنِّي وطريقة تبويبه في كتابه (الفتح الوهبيّ) لأن ابن فُوْرَّجَة هنا مَعْنيٌّ بالرد والاستدراك على ابن جنِّي.

٧) كان ابن فُوْرَّجَة في ردوده واستدراكاته على ابن جنِّي لا يخرج عن لين الجانب ودماثة الخُلُق، وإكباره لشيخ العربية ابن جنِّى، ذاكراً مكانته وشأوه العظيم في العلم عامة واللغة خاصة، لكن ذلك كله لم يمنعه من إبداء الرأي والدلالة على الغلط تارة والسهو تارة أخرى، وكان نظره إلى القصيدة وحدة متماسكة.

٨) اشتمل كتاب الفتح لابن فُوْرَّجَة على ردود واستدراكات على القاضي الجرجانيِّ في كتابه الوساطة، غير أن بعضها غير موجود في كتابه الوساطة المطبوع ، وقد سَمَتَ فيها ابن فُوْرَّجَة سَمْتَ الأدب الجَمّ أمام صاحب الوساطة، ذاكراً أن الدلالة على السهو واجبة.

٩) استدرك ابن فُوْرَّجَة على الصاحب بن عبَّاد استدراكات مبثوثة في صفحات شرحه (الفتح على أبي الفتح) ومثلما كان الصاحب عنيفاً في نقده المتنبي وشعره في رسالته (الكشف عن مساوئ المتنبي) كان فُوْرَّجَة كذلك حين تعقَّب الصاحب في آرائه، وهو يقابل هُزء الصاحب وتهكمه بهزء وتهكم أمرّ.

١٠) استشهد ابن فُورَّجَة ببعض شعر أبي العلاء المعريِّ في مِعْرَاض حديثه عن بعض أبيات شعر المتنبي، مُظهراً إعجابه بآراء أستاذه أبي العلاء وهو يعدُّها فوائد جَمَّة، قمينة بالحفظ والأخذ بها.

هوامش البحث

(١) تتمة اليتيمة، الثعالبيّ، طبع طهران، ١٣٥٣هـ ، ١٢٣/١، ومعجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، مصر، ١٩٢٥م، (طبعة مرجليوث)، ٤/٧، وفوات الوفيات، ابن شاكر الكتبيّ، مصر، ١٩٥١م، ٣٩٧/١، وبغية الوعاة، السيوطي، مصر، ١٣٢٦هـ ، ص٣٩.

(٢) دمية القصر، الباخرزي، تحقيق، د. سامي مكي العاني، بغداد، ١٩٧١م، ٣٧٠/١.

(٣) معجم الأدباء، ٤/٧، وبغية الوعاة، ص٣٩.

(٤) بغية الوعاة، ص ١٣٦.

(٥) شرح التنوير على سقط الزند، مصر، ١٩٤٦م، ١١/٢.

(٦) الفتح على أبي الفتح، ابن فُوْرَّجَة البَروجِرْديّ، تحقيق، د. محسن غياض، مجلة المورد، دار الحرية ، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٧٣م، ١٢٤/٣.

(٧) التجنِّي على ابن جنِّي، ابن فُوْرَّجَة البَروجِرْديّ، د. محسن غياض، مجلة المورد، دار الحرية ، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٧٣م، ٢١٤/٣.

(٨) معجم الأدباء، ٤/٧، وبغية الوعاة، ص٣٩.

(٩) كشف الظنون ، حاجّي خليفة، طهران، ١٩٤٧م، ٨٠٩/١.

(١٠) ديوان المتنبي في العالم العربي، بلاشير، مطبعة نهضة مصر، (د.ت)، ص٢٨.

(١١) دمية القصر ٣٧٠/١.

(١٢) المصدر السابق ٣٧٠/١.

(١٣) المحمدون من الشعراء، علي يوسف القُفْطي، تحقيق : حسن معمريّ، بيروت، ١٩٧٠م، ص٢٦٧.

(١٤) تتمة اليتيمة ١٢٣/١.

(١٥) المصدر السابق ١٢٣/١.

(١٦) دمية القصر ٢٧١/١.

(١٧) فوات الوفيات ٣٩٨/١.

(١٨) بغية الوعاة ، ص٣٩.

(١٩) الفتح على أبي الفتح، ص ١٠٨.

(٢٠) المصدر السابق، ص١٠٨ وما بعدها.

(٢١) المصدر السابق، ص١٠٩ وما بعدها.

(٢٢) المصدر السابق، ص١١٠.

(٢٣) المصدر السابق، ص ١١٠.

(٢٤) مختصر تفسير أبيات معاني المتنبي، أبوالمرشد سليمان المعريّ، تحقيق: د. محسن غياض، د. مجاهد الصواف، بيروت، ١٩٧٣م، المقدمة.

(٢٥) ديوان المتنبي، أبوالحسن الواحدي، برلين، ١٨٦١م، ص٤، و كشف الظنون ٨١٠/١.

(٢٦) الفتح على أبي الفتح، ص ١١١.

(٢٧) المصدر السابق، ص ١٢٠، وديوان المتنبي، أبوالبقاء العكبريّ، مصر، ١٩٢٦م، ١٥٣/١.

(٢٨) الفتح علي أبي الفتح ، ص١٢٠.

(٢٩) المصدر السابق، ص ١٢٠.

(٣٠) المصدر السابق ،ص١٢٠.

(٣١) العكبريّ ١٧٣/١.

(٣٢) ديوان أبي الطيب، أبوالفتح ابن جنّي، بغداد، ١٩٧٠.

(٣٣) العكبري ١٧٣/١، والواحدي، ص٦٣٨.

(٣٤) الفتح على أبي الفتح ، ص١٢٠.

(٣٥) العكبريّ ١٧٧/١.

(٣٦) المصدر السابق١٧٨/١.

(٣٧) المصدر السابق١ /١٧٨، والواحدي، ص٦٦١.

(٣٨) مختصر تفسير معاني المتنبي، ص ٤٧.

(٣٩) العكبريّ ٢٨٥/١.

(٤٠) سورة الأنعام، الآية ١٣٨ .

(٤١) سورة الحج، الآية ٣٦.

(٤٢) الفتح على أبي الفتح، ص ٩١.

(٤٣) العكبريّ ١٣/٢.

(٤٤) المصدر السابق ١٣/٢ ، والواحدي، ص ٣٢٥.

(٤٥)العكبريّ ١٣/٢.

(٤٦) مختصر المعري، ص ١٠٦.

(٤٧) العكبريّ ٣٢٣/٢.

(٤٨) المصدر السابق، ٤٣/٢.

(٤٩) مختصر المعريّ، ص ١١٥.

(٥٠) العكبريّ ٢١٥/٢.

(٥١) الفتح على أبي الفتح ، ص ١٢٠.

(٥٢) العكبريّ ٢١٥/٢.

(٥٣) المصدر السابق ٢١٥/٢.

(٥٤) الفتح على أبي الفتح، ص ١٢٠.

(٥٥) العكبريّ ٧٧/٢.

(٥٦) المصدر السابق ٧٧/٢.

(٥٧) الواحدي، ص ٤٨٩.

(٥٨) لأبي الأسود الدؤليّ في شرح الحماسة، المرزوقي ١٢٤٤/٣.

(٥٩) الفتح على أبي الفتح، ص١٣١.

(٦٠) العكبريّ ٨٢/٢.

(٦١) المصدر السابق ٨٢/٢.

(٦٢) لسان العرب، مادة (حجل).

(٦٣) العكبري ١٥١/٢- ١٥٢ ، وفيه : أقصير طريقنا، وانظر : الفتح ، ص١٣٨.

(٦٤) الواحدي، ص ٦١٤.

(٦٥) مختصر المعريّ، ص ٢٤٢.

(٦٦) الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجانيّ، مصر، ١٩٥١م،١٩٦٦م، ص٢١٥.

(٦٧) مختصر المعريّ، ص٢٤٢.

(٦٨) الفتح على أبي الفتح، ص ١٣٩.

(٦٩) العكبريّ ٢٣٤/٣.

(٧٠) المصدر السابق ٢١٠/٣.

(٧١) الفتح على أبي الفتح ، ص ١٥٦- ١٥٧.

(٧٢) المصدر السابق، ص١١٠.

(٧٣)المصدر السابق، ص١١١.

(٧٤) المصدر السابق، ص١١٨.

(٧٥) المصدر السابق، ص ١٣٦.

(٧٦) المصدر السابق، ص ١٥٨.

(٧٧) المصدر السابق، ص ١٧٣.

(٧٨) العكبريّ ٥٨/١.

(٧٩) الوساطة، ص ٢٤٥.

(٨٠) المصدر السابق، ص ٢٤٥.

(٨١) مختصر المعريّ، ص ٥٦.

(٨٢) الفتح على أبي الفتح ، ص ٨٤.

(٨٣) المصدر السابق، ص ٨٦.

(٨٤) العكبريّ ٢٤٣/١.

(٨٥) الوساطة ، ص٤٤٢.

(٨٦) ديوان زهير بن أبي سُلمى، صنعة أبي العباس ثعلب، مصر، ١٩٤٤م، ص ٩٠.

(٨٧) الوساطة ،ص٤٤٢ ،والعكبري، ٢٤٤/١، والواحدي، ص١٠٨.

(٨٨) العكبريّ١٤١/١.

(٨٩) الفتح على أبي الفتح، ص٨٩.

(٩٠) المصدر السابق ،ص٨٩ .

(٩١) العكبريّ ٤١/١.

(٩٢) لم يذكر القاضي شيئاً من هذا في كتاب الوساطة الذي بين أيدينا.

(٩٣) العكبريّ ٤٠/١.

(٩٤) ديوان عمر بن أبي ربيعة، مطبعة السعادة، مصر (د.ت)، ص ١٩١.

(٩٥) الفتح على أبي الفتح ، ص ١١١.

(٩٦) العكبريّ ١٦١/٣.

(٩٧) الوساطة ، ص٧٢٦.

(٩٨) ديوان لبيد ، طبع الكويت، ١٩٦٢م، ص ٨٨.

(٩٩) العكبريّ ١٦١/٤.

(١٠٠)المصدر السابق١٦٠/٤، ومختصر المعريّ، ص ٢٢٦.

(١٠١) لم يرد شيء من هذا في كتاب الوساطة.

(١٠٢) الفتح على أبي الفتح ، ص ١٧٦.

(١٠٣) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د.إحسان عباس، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمَّان، الأردن، الطبعة العربية الأولى، الإصدار الثالث، ٢٠٠١م، ص ٣٢٧.

(١٠٤) العكبريّ ٤٩/١.

(١٠٥) الكشف عن مساوئ شعر المتنبي، الصاحب بن عبَّاد، مصر، ١٣٤٩هـ، ص ١٥.

(١٠٦) شرح الحماسة، المرزوقي، مصر، ١٩٥٢م، ١٠٦٧/٢.

(١٠٧) بياض في الأصل.

(١٠٨) مختصر المعريّ، ص ٥١.

(١٠٩) الفتح على أبي الفتح ، ص ٨١.

(١١٠) العكبريّ ٥٣/١.

(١١١) الكشف عن مساوئ المتنبي، ص١٥، (وفيه أوقع عند حملة عرشه).

(١١٢) ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزيّ، مصر، ١٩٦٤م، ٢١٠/٣، (مع اختلاف يسير في الرواية).

(١١٣) مختصر المعريّ، ص٥٣.

(١١٤) العكبريّ ٢٧٧/١.

(١١٥) الواحديّ، ص ٤٦٦.

(١١٦) مساوئ المتنبي، ص١٦.

(١١٧) العكبريّ ١٢٠/٤.

(١١٨) المصدر السابق ٢٨٨/٣.

(١١٩) الفتح على أبي الفتح ، ص٩٠.

(١٢٠) المصدر السابق، ص ٩١.

(١٢١) مختصر المعريّ، ص ٨٣.

(١٢٢) العكبريّ ٢١١/٢.

(١٢٣) الكشف عن مساوئ المتنبي، ص ٢٥.

(١٢٤) الشعر لامرئ القيس في معجم ما استعجم للبكريّ ٢٦٧/١.

(١٢٥) سورة الأعراف، الآية ٤١.

(١٢٦) سورة الأعراف ، الآية ١٨٩.

(١٢٧) الفتح على أبي الفتح ، ص١١٥.

(١٢٨) العكبريّ ١٣/٣.

(١٢٩) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص ١٤٣.

(١٣٠) ديوان امرئ القيس، ص٢٠، وصدره (إلى مِثْلها يَرْنُو الحَليمُ صَبابة)

(١٣١) الفتح على أبي الفتح ، ص١٢٥

(١٣٢) العكبريّ ٢٣٢/٣.

(١٣٣) الفتح على أبي الفتح، ص١٥٧.

(١٣٤) المصدر السابق ، ص ١٥٧.

(١٣٥) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص ٢٦٦- ٢٦٧.

(١٣٦) المرجع السابق، ص ٢٦٧.

(١٣٧) سقط الزند ، أبوالعلاء المعريّ، مصر، ١٩٦٤م، ٦٨٨/٢.

(١٣٨) المصدر السابق ٢٠٢/٣.

(١٣٩) الفتح على أبي الفتح ، ص ٨٧.

(١٤٠) سقط الزند ١٤٠/١.

(١٤١) المصدر السابق١٢٧٢/٣

(١٤٢)مختصر المعريّ،ص١٥٨، ١٥٦، والعكبري ١٩٣/٢، والواحدي، ص ٩٣.

(١٤٣) الفتح عل أبي الفتح، ص ١١٤.

(١٤٤) العكبريّ، ٢١٥/٢ والفياش: المفاخرة .

(١٤٥) الفتح على أبي الفتح، ص ١١٦.

(١٤٦) العكبريّ ٣/١٦١.

(١٤٧) الواحدي، ص ٢٣، ومختصر المعريّ، ص ٢٤٧.

(١٤٨) الفتح على أبي الفتح، ص ١٥٥.

(١٤٩) العكبريّ، ٤/١١١.

(١٥٠) الفتح على أبي الفتح، ص ١٧٤.

مصادر البحث ومراجعه

القرآن الكريم

١. بُغية الوعاة، السيوطي، مصر، ١٣٢٦هـ.

٢. تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. إحسان عباس، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمَّان، الأردن، الطبعة العربية الأولى، الإصدار الثالث، ٢٠٠١م.

٣. التجنِّي على ابن جنِّي، ابن فُوْرَّجَة البرَوجِرْديّ، د. محسن غيَّاض، مجلة المورد، دار الحرية ، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٧٣م.

٤. تتمة اليتيمة، الثعالبيّ، طبع طهران، ١٣٥٣هـ .

٥. دُمية القصر، الباخرزي، تحقيق، د. سامي مكي العاني، بغداد، ١٩٧١م.

٦. ديوان أبي تمام، شرح: الخطيب التبريزيّ، مصر، ١٩٦٤م.

٧. ديوان امرئ القيس، مصر، ١٣٠٧هـ.

٨. ديوان الحماسة، المرزوقي، مصر، ١٩٥٢م.

٩. ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس ثعلب، مصر، ١٩٤٤م.

١٠. ديوان عمر بن أبي ربيعة، مطبعة السعادة، مصر (د.ت).

١١. ديوان لبيد ، طبع الكويت، ١٩٦٢م.

١٢. ديوان المتنبي، أبو البقاء العكبريّ، مصر، ١٩٢٦م

١٣. ديوان أبي الطيب، أبو الفتح ابن جنِّي، بغداد، ١٩٧٠ م.

١٤. ديوان المتنبي في العالم العربي، بلاشير، مطبعة نهضة مصر، (د.ت).

١٥. ديوان المتنبي، الواحدي، برلين، ١٨٦١م.

١٦. سقط الزند، أبو العلاء المعريّ، بيروت ١٩٦٣م، مصر ١٩٦٤م.

١٧. شرح التنوير على سقط الزند، مصر، ١٩٤٦م.

١٨. الفتح على أبي الفتح، ابن فُوْرَّجَة البَروجِرْديّ، تحقيق: د. محسن غيَّاض، مجلة المورد، دار الحرية ، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٧٣م.

١٩. فوات الوفيات، ابن شاكر الكتبيّ مصر، ١٩٥١م.

٢٠. كشف الظنون ، حاجيّ خليفة، طهران، ١٩٤٧م.

٢١. الكشف عن مساوئ شعر المتنبي، الصاحب بن عبَّاد، مصر، ١٣٤٩هـ.

٢٢. لسان العرب، ابن منظور، مصر، ١٩٥٦م.

٢٣. المحمدون من الشعراء ، علي يوسف القُفطي، تحقيق:د. حسن معمريّ، بيروت، ١٩٧٠م.

٢٤. مختصر تفسير أبيات معاني المتنبي، أبو المرشد سليمان المعريّ، تحقيق: د. محسن غيَّاض، د. مجاهد الصواف، بيروت، ١٩٧٣م .

٢٥. معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، مصر، ١٩٢٥م، (طبعة مرجليوث).

٢٦. معجم ما استعجم، أبو عبيد البكريّ، مصر، ١٩٤٧م.

٢٧. الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجانيّ، مصر، ١٩٥١م، ١٩٦٦م.